

مفاهيم القرآن

(43) الإخراج من البلد. فيقول: (لا يَنْدِهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْدِهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المتحنة: 8-9). فالإسلام لا يمنع عن البرِّ والقسط إليهم، وإنَّما منع عن الذين ظاهروا على المسلمين وتآمروا ضدَّهم. إنَّ هذه الآية تعطي ميزاناً كلياً لكيفية تعامل المسلمين مع غيرهم، والميزان هو مسالمة كلِّ من سالم ومعادة كلِّ من عادى. وممَّا يؤيِّد هذا الأمر قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُوكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَدَتُّكُمْ قَدِّدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدِّدْ بَيِّنَاتًا لَّكُمْ الْآيَاتِ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران: 118). إذن؛ فالقرآن يمنع من التسامح مع الآخرين إذا كانوا يعادون المسلمين ويتعاونون مع المشركين لإيذاء المسلمين. إنَّ نظرةً واحدةً إلى التاريخ الإسلاميِّ تكشف لنا؛ أنَّ عدل الحكومات الإسلاميَّة وعفوها ولطفها كان سبباً لأن يرجِّح الكثير من المسيحيين وغيرهم، العيش في ظل النظام الإسلاميِّ رغبةً وطواعية لما رأوا وسمعوا ولمسوا من مسامحة المسلمين وحسن معاملتهم، ولما لمسوه من حكَّامهم المتديِّنين بدينهم من الظلم والجور على خلاف المسلمين وحكَّامهم. وإليك ما ذكره البلاذري في هذا المجال: (لمَّا جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردُّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتك والدفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص [وكانوا مسيحيين]: لولايتكم وعدلكم أحبُّ إلينا ممَّا كنَّا فيه من الظلم، والغشم، ولندفعنَّ جند هرقل عن المدينة مع عاملكم، ونهض اليهود فقالوا: